السوفياتي للفلسطينيين، ويفضّلون الاعتماد على العلاقات مع الحكومات العربية[٥١].

وفوق ذلك كله، أثار حادث خطف الطائرات في مطاري روما وأثينا، بين ١٤ و١٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣، الاتحاد السوفياتي، بشكل خاص، لأنه جاء قبل افتتاح مؤتمر جنيف للسلام. ومع ان العملية لم تقم بها منظمة التحرير الفلسطينية، الاّ انها كانت محرجة جداً للسوفيات، لأنها أظهرت، على الاقل، ان موسكو بحاجة شديدة الى السيطرة على مَنْ سيكونون «اتباعها»، في وقت تزايد فيه الدعم السوفياتي للفلسطينيين[٥٢]، ممّا اضطرها الى شجب أعمال «القرصنة الجوية»، وبقيت تلمّح، اسبوعياً تقريباً، الى ان الخاطفين ليسوا من الفلسطينيين، بل ربما «من الذين يعملون لحساب اسرائيـل». وعلاوة على ذلك، لم يساعدها حادث خطف الطائرات في مساعيها الرامية، قبل افتتاح المـؤتمر، على تصوير اسرائيل كطرف رافض لأي حل للنزاع[٥٣]. وعلى الرغم من ذلك، عندما تغيّر الوضع، قبل مطلع العام ١٩٧٤، وأُدخلت المنظمة في الحسابات الاستراتيجية السوفياتية، تميّز موقف موسكو، من العمليات الفدائية، بالقاء كامل المسؤولية على عاتق اسرائيل (عملية معلوت، مثلاً)، بل وبدأت تتحدث عن «عمليات عسكرية» فلسطينية[٥٤].

على ان الاهتمام السوفياتي العام بالخلافات الداخلية في المنظمة بقي ثابتاً، على مدار السنين، واستند اليها، مراراً، في نقده لها. ولربما ساهم، بدرجة أو بأخرى، في زيادة تحفّظات موسكو تجاه المنظمة. وبالطبع، لم تسهم الخلافات الداخلية في تعقيد أسس التفاهم التي توصّل اليها الاتحاد السوفياتي مع المنظمة أو مع قيادتها بصورة شاملة، الاّ ان الجانب الجوهري للخلافات الداخلية في أُطر المنظمة اكتسى أهمية خطيرة، لأنه ركّز، كما يبدو، على القضايا الجوهرية لأهدافها (مثل «حدود الدولة الفلسطينية ـ تدمير اسرائيل» وتعني «المفاوضات ـ الكفاح المسلّح»). وتشمل هذه الخلافات، اضافة الى تقويض الاستقرار الداخلي للمنظمة، على معارضة مباشرة لسياسات السوفيات المفضّلة. وزاد هذا الموقف تعقيداً لموسكو ان بعض التنظيمات المؤتلفة داخل اطار منظمة التحرير الفلسطينية، موجّهة ايديولوجياً، توجيهاً عالياً، أكسب أكثر المجموعات تطرّفاً درجات متنوّعة من الدعم الصيني على مدى السنين، في حين ان بعضها مرتبط، بصورة أو بأخرى، ببعض الدول العربية وبسياساتها (جبهة التحرير العربية ـ العراق، والصاعقة ـ سوريا)[٥٥].

التناسب الطردي للعلاقة

بيد ان هذه الخلافات بين الطرفين، السوفياتي والفلسطيني، لم تؤثّر، خلال العام ١٩٧٤، في سير العلاقات فيما بينهما. في هذا الاطار، ارتدت زيارة وزير الخارجية السوفياتية، غروميكو، للمنطقة أهمية كبرى. فعندما زار القاهرة ودمشق، في نهاية شباط (فبراير) ١٩٧٤، اجتمع ثلاث مرات الى الزعيم الفلسطيني، عرفات، وقيل ان الطرفين تناولا مسألة اشتراك الفلسطينيين في مؤتمر جنيف للسلام. وذكـر عرفات، بعد ذلك، ان موسكو تعتبر منظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً وحيداً للشعب الفلسطيني، وانها لن ترضى بتسوية لا تتأمّن فيها حقوق الشعب الفلسطيني الوطنية[٥٦]. كما كرّر وزير الخارجية المصرية، اسماعيل فهمي، بعد اجتماعه الى غروميكو في القاهرة، التأكيد ذاته، الاّ انه أضفى بعداً دولياً على التوجّه السوفياتي هذا، حين ذكر، ان موسكو «تنتظر مناسبة مهمّة لاعلان ذلك رسمياً»، ولا تريد ان يجيء هذا الاعتراف «من طرف واحد»، أي قبل التوصّل مع الولايات المتحدة الاميركية الى اتفاق على ما يخصّ مسألة الاعتراف[٥٧].

من اليسـير علينـا ملاحـظة ما يمكن تسميتـه بـ «التنـاسب الطردي» الذي طبـع التحـرّك